منشىء المجلة
انطون الجميّل

الزهور

المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الثامن ديسمبر (ك ١) ١٩١٢ السنة الثالثة

البلقان والحرب

ليس في الآونة الحاضرة من لا يهتم للحرب المنتشبة بين العثمانيين والبلقانيين فالناس في كل مكان على اختلاف طبقاتهم ولغاتهم وأجناسهم يتهافتون على الانباء الواردة من ميادين القتال تهافتاً عظيماً جداً . لذلك أنشأنا الفصل التالي وهو مجمل ما طالعناه في المجلات والمؤلفات الافرنجية وخلاصة جامعة عن هذه الحرب ومقدماتها وسياسة البلقانيين فيها وتكهن الساسة الاوروبيين عن عقباها لعلّ في ذلك كله فائدة لقراء الزهور

الولايات العثمانية الاوروبية وسكانها — للحكومة العثمانية في اوروبا ست ولايات خلا الاستانة وضواحيها . وهي : سالونيك ، وموناستر ، وأدِرْنَه ، واشقودره ، وقوصوه ، ويانيا . ويُطلق الجغرافيون عليها جميعها اسم مكدونيا وان لم تشمل هذه التسمية في الحقيقة البلاد الالبانية . اما عدد سكان هذه الولايات فلم يحصَ احصاءً دقيقاً لكثرة التباين في الأغراض والنزعات الجنسية والسياسية والدينيـة . ولكنّ المأثور انه لا يتجاوز خمسة ملايين ونصف مليون يضاف اليهم عدد سكان الاستانة وملحقاتها فيبلغ المجموع على التقريب ستة ملايين ونيّف . وهم اخلاط من السلافيين والترك واليونانيين والالبانيين . واما عددهم بالنسبة الى الجنس

او الدين فالمشهور ان الالبانيين يعدون ١,٥٠٠,٠٠٠ ، واليونانيين يدّعون انهم يبلغون ٢,٠٠٠,٠٠٠ في حين انهم لا يتجاوزون مليونًا ونصف مليون في نظر سواهم. ويقول المسيحيون ان عدد المسلمين ١,٥٠٠,٠٠٠ فقط . وتقول « غازيت دي فرنكفورت » الالمانيـة ان الاسرائيليين يبلغون ١٩٠,٠٠٠ ، والفلاخيين الرومانيين ١٠٠,٠٠٠ والبلغاريين ٧٠٠,٠٠٠ والسربيين ٧٠٠,٠٠٠ ايضاً . ولكن الحقيقة غير ذلك فالجريدة المذكورة أنقصت في عدد البلغاريين والسربيين عملاً باشارة البارون مرشال بيبرشتين المتوفى منذ عهد قريب والذي كان سفيراً لالمانيـا في الاستانة ثم سفيراً لها في لندن اذ كان عدوًّا لدودًا للعنصر السلافي. ولعل حقيقة عدد البلغاريين في مكدونيا يزيد عن المليون . وكذلك السربيون فلا ريب في انهم يعدّون اكثر من مليون ايضاً . وقد اختلف الباحثون في نسبة البلغاريين والسربيين الى العنصر السلافي فلم يتبينوا الحقيقة حتى كانت معاهدة برلين في سنة ١٨٧٨ اذ انضمَّ على أثرها كلُّ جنس الى جنسه وكل قطيع الى حظيرتهِ

معاهدة برلين والبلقان — قضى البند الثالث والعشرون من معاهدة برلين المشهورة بأن يكون لمكدونيا نوع من الاستقلال الاداري يضمن حقوق المسيحيين من أهاليها تحت سيطرة الحكومة العثمانية ومشارقتها . غير ان الباب العالي سوّف المكدونيين كثيراً تنفيذ ما تضمنهُ هـذا البند ، ولم يكترث قط لالحاح دول البلقان عليهِ في ذلك . فأخذت هذه الدول حينئـذٍ باثارة رأي الأهالي على الأستانة مستعينـةً بنفوذها في

مكدونيا ورغبة المسيحيين في الاستقلال ؛ فبلغاريا ، كانت تحرّض البلغاريين ، واليونان اليونانيين ، والسرب السربيين ، حتى أصبحت البلاد ميداناً للدسائس ، وأمست جبالها معتصماً للثوار وغاباتها ملجأً للصوص ، وقُراها عرضة للنهب والحريق ، وبات أهلها أعداءً بعضهم



فرديناند الأول — قيصر البلغار

لبعض فانتشرت الفوضى ، وعمّ الخوف ، وتعاظمت الويلات والشرور . وانما أتت دول البلقان كل هذا اقلاقاً للحكومة العثمانية ، وعرقلةً لسياستها في مكدونيا لأنها كانت ترمي من وراء تلك الفتن الى ثلاث رغائب شديدة الأهمية في نظرها وهي : حمل الباب العالي على تنفيذ مضمون

البند الثالث والعشرين من معاهدة برلين ، ولفت انظار اوروبا الى حالة المسيحيين في مكدونيا ، واستمالة الشعوب المسيحية في تلك البلاد كل شعب الى الدولة التي تضمُّ اخوانهُ تحت رايتها . على ان الغاية القصوى الحقيقية لم تكن الاَّ التربص لتركيا وتحيُّن ضعفها للاستيلاء على مكدونيا واقتسامها فتكون لكل دولةٍ حصة تُعطاها بمقدار عملها واهميتها : فالبلغاريون العثمانيون ينضمون تحت جناحي بلغاريا ، والسربيون تحت لواء السرب ، واليونانيون الى اليونان . اما رومانيا التي يميل اليها ابناؤها الفلاخيون الرومانيون المتشتتون في مكدونيا في كل ناحية وصوب ، والذين يصعب جدًّا اجتماعهم معاً في جزء واحد منها ، فتعتاض من حصتها هنالك جزءًا غير يسير في ما يحاذي أملاكها من أملاك بلغاريا نفسها ويكون ذلك الجزء ثمناً لسكوتها اذا شبَّت الحرب ومكافأة لها من أجل وقوفها على الحياد . وكانت بلغاريا أشد سائر دول البلقان سعياً الى الفوز بامانيّها فلم تدع وسيلةً من الوسائل الاَّ تذرَّعت بها ، وساعدها اهمال الحكومة العثمانيه نفسها واغضاؤها عن مساعيها فمكَّنت محبتها من نفوس البلغاريين العثمانيين بما كانت تبديه لهم من الحنان والانعطاف والمساعدات على اختلاف أنواعها فأنشات لهم المدارس وعمَّمتها في قراهم حتى لقد بلغ مجموع المعلمين الذين كانوا يبثون روحها بين الاهالي نحواً من أربعة آلاف معلم لخمسين ألف تلميذ بلغاري عثماني . ولم تكتفِ بذلك كلهِ فأوعزت الى شاب بلغاري نبيه يدعى يوسف تعلَّم في باريس ونال شهادة دكتور في الحقوق بأن ينصرف عن المحاماة وينتظم في

سلك الاكليروس . وما زالت ترقيه بسرعة حتى عيّن اكسرخوساً للبلغاريين فكان موضع ثقة دولته بما أظهره من الكفاءة والحذق والدهاء فبثَّ الروح البلغارية في نفوس رعيته ونشّأ الشعب على التعصب لقوميته وعلَّمه ان بلغاريا انما هي أمه الحقيقية وأما تركيا فعدوَّته اللدودة



بطرس الأول – ملك السرب

ولما تمادت العصابات المكدونية في غيّها وشرورها وقابلها العثمانيون بالمثل ، وأصبحت مكدونيا من أقصاها الى أقصاها مسرحاً تمثّل عليه الفظائع ، وتلعب فيه كرات الديناميت ، ويتطاير فوقه رصاص البنادق تململت اوروبا في نومها وفتحت عينيها على تلك البلاد ، وأصاخت بمسمعها الى استغاثة البلقان بها فأقدمت حينئذٍ على العمل وسعت حتى انشأت في سنة ١٩٠٣ رقابةً اجنبية على ادارة تلك البلاد

الرقابة الاجنبية — تألفت هذه الرقابة في البدء من مفتش عثماني ومندوبَين أحدهما روسي والآخر نمساوي ، ومن ضابطين اوروبيين قُصرت مهمتهما على مشارفة الأمن العام اذ رضيَ الباب العالي بانتظامهما في الجندرمة المكدونية من اجل هذه الغاية . وكان حسين حلمي باشا الذي وليَ الصدارة في عهد الدستور الجديد المندوبَ العثماني في اللجنة السالف ذكرها . فلما كانت سنة ١٩٠٥ رأى المندوبون شدة الحاجة الى توسيع اختصاص الرقابة فتألفت حينئذٍ لجنة خاصة لتنظيم الشؤون المالية . ثم رمَت روسيا والنمسا في اواخر سنة ١٩٠٧ الى انشاء نظام خاص بالقضاء فلم تفلحا . وحدث بعد شهور ان ملك انكلترا وامبراطور روسيا تلاقيا ملاقاتهما المشهورة في « ريڤال » واتفقا على المسئلة المكدونية . فهاج اتفاقهما رأي أحرار الضباط العثمانيين فأرغموا السلطان عبد الحميد على نشر الحكم الدستوري ففعل ، وهدأ بال اوروبا والبلقان حيناً من الدهر . وكان اعلان الدستور في تركيا بعد تلاقي الملكين في « ريڤال » بخمسة واربعين يوماً فقط مؤيداً لقول نيازي بك في خواطره عن الثورة العثمانية : لولا اجتماع « ريڤال » لم يُعلن الدستور العثماني في سنة ١٩٠٨

عهد الدستور — وكان في مكدونيا على اثر الثورة العثمانية وفوز الأحرار العثمانيين ما كان في جميع السلطنة فان الشعب تناسى لأول وهلة اغراضه ومنازعاته حباً بالدستور ؛ فتصافح المسلم والمسيحي ، وتراضى الارمني والكردي ، وتفاهم التركي والعربي . غير ان تلك العواطف الشريفة كانت اشبه شيء بشعلة القش لم تتقد حتى عاجلها الخمود فانطفأت

وتحولت الى رماد ثم تبددت ذراتها في الهواء . واصاب اوروبا من الدستور ما اصاب العثمانيين انفسهم منهُ فرضيت بالغاء الرقابة الاجنبية من مكدونيا مقتنعة بأن العهد الجديد في تركيا يعوّضها منها خيراً لان الدستور من شأنه ان يساوي بين الرعية ويهبها الحرّية والعدل



نقولا الأول — ملك الجبل الاسود

غير ان السياسة العثمانية التي ساسها الاتحاديون لم تُرضِ دوَل البلقان واسخطت عليها المسيحيين في مكدونيا وهم الاكثرية العظمى هنالك فعادت الحالة الى شبه ما كانت عليهِ من قبل ورجعت العصابات الثورية الى اعمالها وشرورها كما كانت ابَّان سلطنة عبد الحميد . وما برحت مكدونيا قلقةً مضطربةً حتى اواخر سنة ١٩١٠ فاختلَّ الأمن كثيراً ، وعاد البلغاريون الى اوروبا يستنجدونها ويستحثونها على العمل

الصحيح . اما الحكومة العثمانية الاتحادية فلم تكن تعبأ بمساعي هذه الدول الصغيرة لانها كانت تعتقد باستحالة اتفاقهنّ على العمل معاً . وما كان أشد دهشتها حين رأت بلغاريا تصافح اليونان ، واليونان السرب ، والسرب الجبل الاسود ، بعد ان كان اليونانيون اعدى اعداء البلغاريين ، والسربيين انداد الجبليين . فكان انفرادها امام دول اربع متحدة تناوئنها وتتطلّبنَ خذلها وفشلها دافعاً لها الى الاتفاق مع رومانيا ولكنهـا لم تنجح لأن بلغاريا افهمت جارتها ان تقف على الحياد فتنال ما تطمع بنيله بدون ان تسفك نقطة دم او تبذل قبضةً واحدة من المـال . ولما تمّ لهذه الدول هذا الأمر اتفقنَ فيما بينهنّ الاتفاق الذي ولَد الحرب الحاضرة

***

الحرب — نكتب هذه السطور والبلغاريون على بضعة عشر كيلومتراً من الاستانة ، وادرنه مطوقـة بالجنود ومضيّق عليها الخناق ، والسربيون قـد دخلوا موناستر ظافرين ، والجبليون محيطون باشقودره ومشددون في حصارها ، والطريق قد خلت لليونانيين فتمشوا الى سالونيك واحتلوها على أهون سبيل ، والعثمانيون واقفون في شطلجه [١] معتصمين بحصونها ومحتمين بقنابل الاسطول على شواطىء البحرين بحر مرمره والبحر الاسود ، والوباء يفتك فتكاً ذريعاً بالعسكرين العثماني والبلغاري ، والقتلى يُعدُّون كالجرحى بعشرات الالوف ، وليس في بلغاريا والسرب

(١) شطلجه كلمة تركية معناها شوكة (فرتيكة) وسمي هذا الموقع كذلك لان جباله متشعبة الى عدة شعاب على شكل اصابع الكف حتى ضفتي البحر الاسود وبحر مرمره

والجبل الاسود واليونان غير الشيوخ العجز ، والنساء الضعيفات والاطفال الرُضَّع ، وقد اكتظت قصور الاستانة وجوامعها ومستشفياتها بالمصابين من العساكر ، والمنكوبين من الأهالي يشكون الجوع والعري ، ويتلمَّسون القوت ، ويصرُون من البرد ، ويئنون من الأوجاع ، وعلى طرُق بلاد الاناضول عشرات الالوف من المساكين نبذتهم بلدانهم ، فتشتتوا في



جورج الاول — ملك اليونان

القفار لا منازل تؤآويهم ، ولا قوت يشبعهم ولا غياث لهم من غير السماء ؛ وجرائد العالم تحمل الينا أنباء هذه الفظائع ، وتقص علينا اخبارها المؤلمة حتى لنكاد نسمع بآذاننا دويّ البارود ، وأزيز الرصاص ، وصليل السيوف ، وأنين الجرحى ، وحشرجة النفوس ، ونبصر بعيوننا مجاري الدمآء ، وتراكم الجثث ، ونلمس بأيدينا فقر الفقرآء ، وبؤس البؤسآء ، فما

نجيء على هذا أو بعضه حتى يعرض لنا خبر ينسينا فظائع ما قرأنا من قبل كأنْ يقف بنا الكاتب امام عانةٍ من الذئاب تفترس اشلاء القتلى بل قد تصيب جريحاً منسياً فتنشب انيابها فيه وهو لا يجد بعض القوة ليدفعها عنهُ ، أو قبالة مئات من الغربان والعقبان والثعالب وبنات آوى يتألبن على الجثث ، وينقرنَ الصدور ، ويبقرنَ البطون ، بل قد يقعنَ أيضاً على الأحياء في النزع الاخير فيمثّلنَ بهم تمثيلهنَّ بالموتى ، ثم ينقل الينا البرق مختصر الآراء ، وملخص السياسة ، وموجز الأنباء عن التحام الجيوش وتفانيها في القتال فنكاد لا نعي من الصباح الى المساء غير أخبار الحرب ، وأحاديث الطعن والضرب

تلك هي الحرب اليوم فواهاً لها من صورة للمدنية في القرن العشرين ! ! وتلك هي عاقبة السياسة التي يسمونها سياسة تنازع البقاء ! . قوتل الانسان ما اكفره ! !

عقبى الحرب — قد تنتهي هذه المجازر البشرية عن قريب فاذا ختمت بفشل العثمانيين أضاعت الدولة التركية أملاكها في أوروبا وفقدت بفقدها نحواً من ستة ملايين نفس من رعاياها ، واذا تمَّ لها الفوز أو بعضه قبل ان تضع الحرب أوزارها كانت الخسارة أقلّ والأضرار اللاحقة بها أخف غير ان انتصار الدول البلقانية المتحدة سيؤدي على الأرجح الى مشكلةٍ كبرى بينهنَّ تكون عقدتها في كيفية اقتسام البلدان المكتسبة لهنَّ . وقد ظهرت بوادر هذه الاشكال من خلال احتلال اليونانيين لسلانيك ومصادرتهم دخول البلغاريين اليها ، ومن سياسة السرب مع الألبانيين

واصرارها على امتلاك ميناء على بحر الأدرياتيك ومقاومة النمسا لها ، ومن الحاح رومانيا بتوسيع منطقتها في املاك بلغاريا حتى ثغر « ڤارنه » على البحر الاسود أيضاً جزاء وقوفها على الحياد ورغبة هذه في التنازل لها عن بعض أجزائها من الجهة الاخرى فقط وهلمَّ جرًّا ، أما الأيام فستكشف ما انطوى وان غداً لناظره قريب ؟

جمال الدين الافغاني

في نظر

« الدكتور شبلي شميّل »

يشتغل الدكتور شميل في هذه الاثناء بوضع كتاب كبير عنوانه « حوادث وخواطر » او هو مجموعة مذكراته كما يدل عليه الاسم . وقد اقتطعنا منه الفصل التالي في السيد جمال الدين الافغاني الشهير . قال عفا الله عنه :

. . . . أما جمال الدين فكان من نوابغ عصره عالماً واسع الاطلاع في علوم الأقدمين وفلسفتهم ذا ذكاءٍ مفرط وأدب رائع مع شجاعة في القول لا تصدر الاَّ عن نفوس مستقلَّة كريمة وكان ذا حديث طلي شهي لا يمل منه سامعه مع فصاحة عربية في التزام القواعد واختيار الألفاظ ولكنها ممزوجة ببعض لكنةٍ أعجمية تنمُّ عن أصله الغريب وانما وقعها على الأذن كان محبوباً . ونظره كان جذاباً وله عينان الى السواد غائرتان قليلاً تتقدان ذكاءً . وهو لم يكن يعرف لغةً من لغات الافرنج الحافلة بالأفكار الجديدة والعلوم الحديثة ولكنهُ كان ذا مقدرة عجيبة في التحصيل

حتى انهُ ليستفيد منك الشيء الجديد ويصبهُ في قالب المعلوم المختمر فيه ويوهمك انهُ معروفٌ له منذ زمان طويل . وجمال الدين لم يكتب في ما أعلم شيئاً وانما كان يلقي على آخرين مقالات ضافية تنشر في جريدة مصر تحت أسمائهم . ولولا الشيخ محمد عبده يده الكاتبة لما كان لصوته صدى ولبقيت تعاليمه في صدور اكثر الذين تلقوها عنه وماتت معهم اذ كانت كل تعاليمه حديثاً يلقيه بحسب مقتضى الحال . فهو فيلسوف من الفلاسفة المشائين او بالحري الرواقيين ورواقه كان رواق القهوة التي بجنب قهوة البورصة القديمة المتقدم ذكرها . ولعلَّ تلاميذه لا ينسون في مستقبل الأيام ان يحيوا ذكره بينهم في ذلك المكان . وقبل جريدة مصر كانت شهرة جمال الدين مقتصرة على الأخصاء وأعماله محصورة في دائرة مريديه وأما جريدة مصر فكانت سبباً كبيراً لاذاعة صيته ونشره في الآفاق

***

ولما عرفت أديب [١] بجمال الدين كانت معرفتي بهذا الاخير حديثة العهد . فقد كنتُ أسمع بهِ وأنا في الاسكندرية فلما أتيتُ الى مصر وددتُ ان أتعرّف بهِ . وكان يتردد كثيراً على بيت حنا عيد قنصل دولة البلجيك . فلما أبديت رغبتي هذه لعيد المذكور ضرب لي موعداً للاجتماع به عنده في احدى السهرات . ولما تعارفنا أخذنا ننتقل من حديث الى حديث الى ان ابتدرتهُ بالسؤال الآتي (ولم يكن سبق لي كتابة أو تصريح في هذا الموضوع بعد) . قلت : ما قول سيدي الشيخ (لفظة الأستاذ

(١) يعني به اديب بك اسحق الكاتب الشهير

لم تكن قد جرت بعد على الألسنة كما هي اليوم) في المعبود الأول الذي اتخذه الانسان من بين أشياء هذا الوجود ؟ . وكأني لحظتُ انه أُخذ بهذا السؤال على غرَّة كأنه لم يخطر له ببال من قبل . فتقلقل قليلاً كأنه



جمال الدين الافغاني

يريد ان يتمكن في مجلسه ولم يطل به ذلك حتى دخل في مقدمة مستفيضة أغنتهُ عن التزام الصمت طويلاً وأعانتهُ على تصوير الحكم بما فسحت له من الوقت ومثله لم يكن يلزم له اكثر من ذلك لما له من سرعة الخاطر وحدَّة الذهن . ولا أذكر شيئاً من هذه المقدمة وانما أذكر انه

انتهى بها الى القول « ان المعبود الأول للانسان الأول كان يقتضي ان يكون في ثنايا الغيوم المتلبدة أو هي نفسها »

أما أنا فلم اكن من رأيه وكأني نظرت الى الانسان نظراً أعرق في الحيوانيـة . فاعتبرتُ الانسان الأول لاصقاً بأرضه يتخبط في ما أمامهُ متخوّفاً من كل شيء اذ كان يجهل كل شيء فاتخذ معبوده الأول من أشيائها ولم يرتفع بصره الى ما فوق الأرض بعد ذلك بكثير . واعتبرت حينئذٍ العبادة الفتيشية أول عبادات الانسان وجعلتها في الغابات الكثيفة ذات الشان في الميثولوجية القديمة وفي الاشجار الكبيرة المنفردة القائمة في العراء يُستظلُّ بها من الرمضاء كما تدل عليـهِ بقايا ذلك فيهِ حتى اليوم . وهذا الحـكم لم يقم بي اعتباطاً من دون تفكير سابق بل قام في نفسي على أثر زيارتي لمدينة بعلبك في سنة ١٨٧٠ حين رجوعي من انطاكية وكنت قد أرسلتُ اليهـا في بعثة من قبل المدرسة الكلية حين كنتُ أدرس الطب لاغاثة منكوبيها في الزلزال الذي نكبت بهِ تلك المدينـة في تلك السنة . وكان رفيقي في هذا السفر ذهاباً واياباً ادورد ڤانديك المعروف عند المصريين ابن الشهير كرنيليوس ڤانديك صاحب الفضل الاكبر على سورية وسائر الاقطار العربية في نهضتها العلمية الحديثة

فلما وصلنا بعلبك بعد سفر اربعة عشر يوماً في مروج خصيبة يتعالى فيها الحشيش الطبيعي الى قامة الانسان ولكن يد حكامها الطغاة أمحلتها وتركتها قفراء من السكان لم نشأ ان نقيم في المدينة وفضّلنا ان نبيت ليلتنا في قلعة بعلبك نفسها وكان القمر بدراً والسماء صافية فبين الآثار الكثيرة

المتهدمة توجد أعمدة من الغرانيت ذات علوّ شاهق لا تزال قائمة صفاً واحداً في ساحة منبسطة . فلما وقفتُ أمامها في ضوء القمر الصافي وفي وسط ذلك السكون الرهيب والشباب غضّ والعواطف شديدة التأثر



الدكتور شميل

شعرتُ في نفسي بتهيب من منظرها الفخم لا يزال أثره بي حتى اليوم كدت أجثو منهُ على ركبتيّ من شدة الخشوع . فكأن هذا الشعور بي كان لي موضوعاً للتفكير بعد ذلك في أمر العبادات وان منشأها في الانسان إما تهيب عن اعجاب أو خوف عن ضعف . وأحرِ بالانسان الأول اللاصق بأرضه ان يكون معبوده الأول منها على نحو ما تقدَّم

قلت ان جمال الدين كان من الفلاسفة الرواقيين أي انهُ كان ينشر

تعاليمه في طي المحادثات الاعتيادية ولكنها كانت محادثات خلاَّبة في لذَّة المعنى وحسن الانسجام ولم يتهيأ له ان وقف خطيباً في قوم الأَمرة واحدة أظهر فيها انه خطيب مفوه أيضاً وكان ذلك بمسعى اديب اسحق وفي تياترو زيزينيا على محضر من جمهور غفير من علية القوم من رجال ونساء من السوريين والمصريين . فألقى خطبة اجتماعية سياسية أبدع فيها معنى ومبنىً وجرأةً وبقي يرتجل الكلام نحو ساعتين من دون ان يبدو عليهِ أدنى تعب أو يتلعثم حتى خلب العقول وأقام الناس وأقعدهم كأنه رابطهم بسلاسل كلامه يلعب بهم كما يشاء . وقد أعجبني منه قوله فيها وهو يتكلم عن استبداد الملوك واستمانة الشعوب قال «كأن الناس ليسوا شيئاً والملك هو كل شيء ان قام قاموا وان قعد قعدوا ! »

ولما بلغني ان جمال الدين بعد ان نفي من مصر ببضع سنين كتب رسالةً باللغة الافغانية في نفي مذهب الماديين ترجمها الشيخ محمد عبده الى العربيـة دُهشت لعامي بأن الرجل لم يكن من المتدينين . على ان جمال الدين كسائر الفلاسفة الأقدمين لم يكن يستطيع بمبادئه النظرية وفلسفته المجرَّدة ان يجزم جزم الطبيعيين في استنادهم الى العلوم الحديثة اليوم فلم يكن يستطيع الاَّ ان يكون من الشكوكيين أمثال المعرّي وأمثال ڤولتير الذين ينكرون الأنبياء ولكنهم يقفون مترددين في أمر الخلق هل هو حادثٌ أو قديم فيكونون تارةً من الالهيين وطوراً من اللاأدريين لعدم تمكنهم من ضابط علميّ محسوس يضبط أحكامهم ويقوّي حجتهم في تردُّدهم اللهمَّ الاَّ ان يكونوا من الحصافيين النفعيين الذين يكونون في

اعتقادهم على هوى جليسهم تارةً أقرب الى المعطلين وطوراً أقرب الى المؤمنين أي انهم يكونون كما وصفهم الامام الغزالي حين قال : ان الآراء ثلاثة أقسام : رأي يشاركه فيهِ الجمهور فيما هم عليه . ورأي يكون بحسب ما



جمال الدين الافغاني في مرضه الاخير

يخاطب به كل سائل ومسترشد . ورأي يكون بين الانسان ونفسه لا يطلع الاَّ من هو شريكه في اعتقاده » اه . ويصعب عليَّ جداً بعد اختباري الرجل بنفسي من جهة ثم سماعي عنه بعد ذلك ان ابدي فيه حكماً جازماً ولكني ارجح جداً انه لم يكن من المؤمنين　　**الدكتور شميل**

نشيد نهر الصفا

عين زحلتا قرية لطيفة يعرفها اكثر الذين اعتادوا الاصطياف في جبال لبنان ؛ وألطف من القرية نفسها غابات الصنوبر التي تحيطها وأجمل من هذه وتلك منظر نهر الصفا المتدفّق عند قدم الجبل ، وعلى بعد أمتار قليلة منهُ يركض نهر القاعة

كلٌّ من النهرين يسرد حكايته الابدية على الاشجار المصغية اليهما بحللها السندسية. ويظلُّ النهران في اندفاع وشكوى ، وروح الوادي تئن في أثرهما الى ان تلثم مياههما مياه البحر العظيم

في الصيف المنصرم زرت عين زحلتا لاول مرة

هنا سالت صور الكون الهيولية وذابت ذرات الاثير ؛

هنا اجتمعت بلابل أرفيوس لتعيد ذكرى أوريديس ذات القلب الكسير ؛

هنا تنهدت العطور تنهداتها الغرامية ، وتحولت الورود الى أشعة سحرية ؛

هنا اغتسل قوس القزح ، فترك في الماء من ألوانه ألحاناً فضية ؛

ومن دماء الاحلام المتجمدة استخرج قوس قزح ألوانه السرمدية ؛

هنا بعث الأفق بأسراره الى الارض مع خيوط من الاثير ذهبية ؛

هنا نامت الاشباح بين أجفان بنات المياه ، فامتزج النور بالظلام وتلاشت اليقظة بالمنام ؛

هنا ناحت حمائم الشعر ، وغنَّت أطيار الانغام ؛

هنا لثمات النسيم شوقٌ وهيام ؛

ومداعبة الموجة للموجة تبادلُ نظرةٍ وابتسام ؛

وجمود الشاطىء حقد على فتور الليالي ومعاكسات الأيام ؛

هنا ارتعاش الأوراق على الغصون تحية همتْ من مُقل الكواكب وسلام ؛

وتمايل الافنان ودلالها نجوى ملك الوحي والإلهام ؛

هنا ليلةُ أنوارٍ وفجرُ ظلام . وألغاز ملامسٍ وألوان وأنغام ؛

حينما يمرُّ الفجر على قمم الجبال يرى صورته في هذه المرآة البلورية ، يرى رمز الشبيبة مع ما يتبعها من جماهير الآمال النضرة كالأزهار ، والأميال المتنقلة كالأطيار . ثم يأتي الغروب ساكباً في أعماقها كلّ ما في أحزانه من المرارة مع ما يرافقها من النظرات المتحوّلة والابتسامات المتغيبة والجباه الكئيبة والشفاه المتحركة بالصلوات ، الساكنة بالتأملات

هنا عيدان الاشجان تبكي — تبكي بقلبٍ جريح . وفي كلّ لحظةٍ يخيل انها تُسَلِّم نَفَسَها الأخير بشهيقٍ فيهِ من اللوعة والكتمان والتجلد بقدر ما فيهِ من المجد والعظمة ، من البسالة وعزة النفس الأبية

لكنّ المياه لا تموت ولا تحيا ، بل تردد ذكرى الماضي ، وتهمس خفية نبوئتها في المستقبل ، وتُرادف أصوات الافراح وتُعدد آهات الاتراح

هنا لغزٌ من ألغاز الحياة وليلة من ليالي الزمان . وأنا لغز أمام هذا اللغز ، وليلة ازاء هذه الليلة . أهيم وحيدةً على الشاطىء الحزين ، أنظر ولا أرى ، أسمعُ ولا أفهم ، أفكّر ولا أجد ، أستعلم ولا أعلم . . . .

فؤادي يخفق مع فؤاد النهر الخفي ، ونفسي قيثارة الأحلام والألحان . لكنني لغزٌ حيٌّ تائه في ظلّ الغصون ، ينظر مستفسراً الى لغز آخر ، فلا يجد فيهِ الاَّ صورته ، فيودّ تمزيقها وسحقها وان أحبها !

* * *

عند احتضار النهار ذهبتُ الى رأس النبع وجلست على صخرةٍ قائمة في وسط المياه المتسلسلة من صدر الصخرة الكبيرة. جلست وأرواح الخيال تستنشق الاريج العطري المعانق لشعور بنات المياه . وآلهة الأهوية الأربعة يتلاعبون بدقائق الشفق سابحين على أمواج الظلام ، وحول أشباحهم تلتفّ اكاليل البنفسج وقلائد الياسمين ، وفي ثغورهم يلمع فتيت النجوم ، بينا ابكار الشعر تسرّ لاخواتها خفايا اليأس والرجا، تحت أشجار الصنوبر ، وعذارى الطرب تستخرج من عناقيد « باخوس » خمراً تسكر بهِ ألباب الآلهة ، ومن سكر الآلهة يولد الشعراء والأنبياء .

على هذه الصخرة حيث انا احلم ثملةً بما شربَتهُ مشاعري من رحيق الخيال العلوي ، كان يجلس الامير بشير الشهابي الكبير . كثيرون من من بعده ومن قبلي جلسوا هنا وفؤاد كلٍّ منهم منقبض تهيباً وخشوعاً أمام أنفاس الطبيعة واصوات الخلود . ما يجول بخاطري الآن كان يجول بخاطرهم لان الافكار تتشابه في المصدر وفي النتيجة على رغم تعدّد شُعبها وفروعها ، والرغائب الكثيرة اللاصقة في أعماق النفس البشرية هي هي في كل آن ومكان .

جميعنا طرح على النهر السؤال الذي انثر تموجاته الآن على الامواج

المتراكضة : هو سرّ الاسرار الغامضة الذي يردّده صدى الهياكل العميقة التي تشيدها المدارك في قدس اقداس البشرية : من أين والى أين ؟ من أين والى أين ؟ ؟

من أين تأتين أيتها المياه والى اين تذهبين ؟

. . . من أين أتينا والى أين نذهب ؟ . . .

المياه تتدفق في أثر المياه مهللةً مكبرة ؛ وقد أفاضت أصواتها في الغناء والنحيب ، ودمدمت العناصر فيها اسرار الوارد الالهي ، ورفرفت على جوانبها اجنحة الخلود . . .

من أين والى أين . . . ؟

ثقل دماغي بافكارٍ لا ادركها ، وضاق مني الصدر لهموم لا اعرف ماهيتها فنزعت عن ساعدي ساعة وُضعت في اسورة ذهبية ونظرت اليها قائلة : — أيتها الساعة ! انتِ رمز الوقت الجاري في نهر الزمان فيسير قاصداً بحر الابدية . ها انا اغطسك في هذه المياه . . . عسى ان تحفظي في حياتك المعدنية أثراً لرموز معنوية . ثم جمعت بعض الحصى الجميلة الكثيرة الالوان الراكدة في أعماق النهر ، قائلة : « أيتها الجواهر ؛ سأحملك معي الى وادي النيل لتذكريني بالعواطف الكثيرة التي تلاطمت في فؤادي أمام نهر الصفا . . . أنتِ ذكر الابدية التي حييت فيها لحظة »

واذ رفعت عيني الى الافق رأيت مقلة الزهرة ترقب يد ملك الظلام الراسمة على رداء الليل صوَر الهيئات السماوية

فغادرت رأس النبع مرددة : أنهر الصفا ! من أين والى أين ؟

***

أنهرَ الصفا ! جئتك تعبة الروح والجسد معاً

قرأت خلاصة الاحوال الحاضرة فدوت في جوانب مخيلتي اصوات المدافع ، وتمثلت لناظري صوَر الحرب المريعة . ثم قصدت الاجتماعات تملأ اذني ضجيجها التافه . وضجرت نفسي من معانيها السطحية — ان لم تكن خبيثة . عجبت من بلاهة الانسان ومن ركاكة امياله وفتور همته . اذ ذاك سمعت اسمك الموسيقي فاحببته لان فيهِ جمالاً وعذوبةً وسلاماً

لقد احرقت قدميَّ الرمال الحارة ، ومزَّقت يدي اشواك الحياة ، فجئت اليك لاستخلص من اعشابك بلسمًا لجروحي . تعلَّقَ بأهدابي غبارُ المادة محاولاً إخفاء الجمال المعنوي عن عينيَّ ، فأتيت لاغسل أهدابي بمياهك المقدسة

جئت لأرطب يديَّ وعينيَّ برضابك العذب

ثقل فؤادي عليَّ ، فأسرعتُ لأبعث به معك الى روح البحر العظيم الذي يناديك اليهِ من عمق اعماق زرقتهِ البعيدة

أنت ابن الغيوم ، وألعوبة الحرارة الهوائية ، وضحكة المادة الدائمة ، وقهقهة الجوّ بين الهضاب والأودية . أنت قبلة الشمس للبحر . أنت أنشودة الجبل في الوادي . أنت الروح الصغيرة المسرعة الى احضان الروح الكبيرة

أنت جميل كأسرارِ الجنان . عذب كنظرات الولهان
وفي اسمك ألوان وألحان

أنت تهلمم بي ، أيها النهر ، تخذني معك بعيداً عن الحياة وضوضائها
خذني معك . . . لكن ، ما هي نسبتي اليك ؟

أنت مجموع سوائل لا وجدان لها ، ولا قلب يخفق بين اجزائها .
وانا . . . انا شيء آخر . أنت لغز بين البحار والآفاق ، وانا لغز بين
الحياة واللانهاية . انا اعرف اني لا افهمك ، واشعر بجهل الانسان وشقائهِ ،
اما انت . . . ما لنا ولك ؟

سيري ، أيتها المياه ، سيري واتركيني . أسقي النباتات والاعشاب ،
ضعي لآلئ في أفام الورود ، رطّبي صدر الارض الملتهب ، ترنمي في وحدة
الوادي ، اسردي حكايتك التي لا تنتهي ، اندبي ، هللي ، اصرخي ،
اهمسي ، انشدي ، انحبي ، اطربي ، احزني . كل هذا ننسبه اليكِ نحن
ابناء الطرب والكآبة .

سيري ، ايتها المياه ، ودعيني ابكي . لقد تلبَّد جوّ فكري بالغيوم
القاتمة . وقلبي — مالكِ ولهُ ! — منفرد حزين . . .

مي

﴿ الشكوكيُّون ﴾

ليس شيء من أمور الدنيا الاّ وهو معرَّض للشك حتى قال بعض الفلاسفة :
ان كل شيء يقبل الشك حتى قولي هذا : « ان كل شيء يقبل الشك » ومن بين
الفلاسفة طائفة يعرفون بأهل الشكوك يشكون في كل شيء حتى في وجود ذواتهم

محمد المويلحي

الرتب والنياشين

ذكرنا في الجزء الماضي شيئاً عن الرتب والنياشين وتاريخها عند القدماء، ورأينا تكملةً للبحث ايراد نبذة مستقلة عن الرتب والنياشين في الدولة العثمانية لانها تهم القراء اكثر من سواها. وقد كتب هذه النبذة خصيصاً «للزهور» حضرة الكاتب الفاضل حقي بك العظم. قال:

تقسم الرتب في الدولة العثمانية الى ثلاثة اقسام: عسكرية وملكية وعامية

الرتب العسكرية — وضعت الرتب العسكرية الحالية في اواخر زمن السلطان سليم الثالث المشهور بميله الى الاصلاح والتمدن الغربي الحديث، وقد كان بدأ قبل كل شيء بالاصلاح العسكري، ولكن الظروف لم تساعده، وحال دون اتمام مقاصده جهل الأهالي وسوء نية زعماء الجيش الانكشاري، فذهب شهيد التعصب. وقد أتم خلفهُ السلطان محمود مشروعهُ العسكري ونظم الجيش العثماني على الطراز الأوربي وأنشأ معظم الرتب العسكرية الحالية واليك بيانها بالترتيب:

الرتبة	يقابلها عند الافرنج	لقب صاحبها	راتبه الشهري
مشير	Maréchal	دولتلو افندم حضرتلري	اذا كان قائداً ١٥٠ ليرة في الاستيداع ٧٥ ليرة
فريق	Général de Division	سعادتلو افندم «	راتبه الشهري ٦٠ ليرة
ميرلوا	Général de Brigade	عزتلو افندم «	» » ٣٠ »
ميرالاي	Colonel	عزتلو افندم »	» » ٢٠ »
قائمقام	Lieutenant Colonel	عزتلو بك »	» » ١٥ »

بكباشي(ومعناها رأس الالف)	Major	رفعتلو بك او افندي	«	«	١٢	»
يوزباشي(« « المائة)	Capitaine[1]	فتوتلو بك او افندي	«	«	٨	»
ملازم أول	Lieutenant	حميتلو	« «	» » »	٥	»
ملازم ثانٍ	Sous - Lieutenant	«	« «	» » »	٤	»

ولكل من اصحاب هذه الرتب العسكرية ما يكفيه ويكفي عائلته من المؤن والذخائر مثل الخبز والسمن واللحم والفحم والسكر والشعير والتبن وما اشبه يأخذها كل شهر وذلك حسب رتبته فالملازم الثاني مثلاً اربعة ارغفة خبز فى اليوم ومقدار من اللحم فى الشهر وثلاث اقات سمن ويزيد ذلك كلما يرتقي الرتبة .

وهناك غير هذه الرتب العسكرية الحربية رتبةٌ اخرى فى الجيش خارجة عن الصفوف الحربية مثل رتبة امين الاى تقابل البكباشي ورتبة كاتب الطابور تقابل اليوزباشي ومعاون كاتب الطابور يقابل الملازم الاول. وينقطع اصحابها للاعمال الكتابية والحسابية فقط . ومفتى الاى يقابل البكباشي ، وإمام طابور يقابل اليوزباشي ، وكلاهما يقوم بالطقوس والشعائر الدينية فى الاورط والالايات

الرتب الملكية : وضعت هذه الرتب فى اواخر حكم السلطان محمود بعد ابادة الانكشاريه . وقد كانت وقتذاك عزيزة لصعوبة نيلها حتى كان يشار بالبنان الى من ينال الرتبة الخامسة ، وهي اصغر رتبة ملكية كما هو معلوم واستمر الحال على هذا المنوال الى زمن السلطان الخليع . وتقسم

(١) كان في الجيش العثماني رتبة تسمى قول أغاسي وهي بين البكباشي واليوزباشي وقد ألغيت بعد اعلان الدستور

هذه الرتب الى قسمين : قلمية وسيفية . فالقلمية خصت بمكافأة عمال الدولة والسيفية خصت بمكافأة اعيان الولايات واشرافها . وهذا بيان الرتب الملكية والقاب اصحابها مع ما يقابلها من الرتب العسكرية :

العلمية منها	السيفية منها	ألقاب أصحابها في الكتابة	ما يقابلها من الرتب العسكرية
وزير	...	دولتلو افندم حضرتلري	مشير { وصاحب الوزارة مقدم عليه
بالا	...	عطوفتلو « «	فريق اول
اولى صنف اول	روم ايلي بكلر بكي	سعادتلو « «	فريق
« « ثانٍ	ميرميران	« « «	ميرلواء
متمايز	متمايز	عزتلو «	ميرالاي
ثانية	ثانية	عزتلو بك او افندي	قائمقام
ثالثة	ثالثة	رفعتلو « « او آغا	بيكباشي
رابعة	رابعة	فتوّتلو « « « «	يوزباشي
خامسة	خامسة	حميّتلو « « « «	ملازم اول

ويوجد رتب اخرى من نوع الرتب السيفية هي : رتبة امير الامراء ورتبة مدير الاصطبل العامر ، يقابلهما من الرتب القلمية الرتبة الثانية ويلقب صاحب الأولى منهما بلقب « باشا » ويكتب اليه « عزتلو باشا » ورتبة قبوجي باشي الركاب السلطاني ، تقابلها الرتبة الثالثة . وهذه الرتب خاصة برؤساء القبائل والأمين من اشراف البلاد لاسيما القاصية منها . وقد كانت الدولة تراعي هذا الترتيب ، فلا تنعم مثلاً برتبة « بالا » على احد اشراف الولايات مهما كان مقامه عظيماً بل تخصهُ برتبة روم ايلي بكلربكي

او ميرميران او امير الأمراء اذا شاءت ان تكافئه . واستمرَّت هذه القاعدة معمولاً بها الى أوائل حكم السلطان الخليع حيث أخذ رجاله يبيعون الرتب بيع السلع دون الالتفات الى التقاليد المتبعة في منحها

والرتب الملكية ، قلمية كانت او سيفية ، لا تعطي أصحابها لقب (بك) « ما عدا رتب روم ايلي بكلربكي وميرميران وأمير الأمراء فان أصحابها يلقبون بلقب (باشا) كما مرّ ذكره » . لذلك تجد كثيراً من أصحاب رتبة بالا — وهي أعلى رتبة بعد رتبة الوزارة — يلقبون بلقب (افندي) . أما لقب (بك) فانه خاص اولاً بأولاد الأسَر والعائلات الكبيرة في الولايات من اصحاب الزعامات والمقاطعات الممنوحة لهم من قبل الدولة في الازمنة السابقة ، ثانياً باولاد الباشوات فقط . وقد وقعت هذه التقاليد في فوضى عظيمة في عهد السلطان عبد الحميد حتى اصبح الانسان يرى ابن الفراش والخادم والفقير في الاستانة يلقب بلقب (بك)

الرتب العلمية — لا تمنح هذه الرتب الا للعلماء الدينيين من المسلمين ورجال باب المشيخة في الاستانة والقضاة الشرعيين في الولايات . ولبعض هذه الرتب ، خصوصاً الكبيرة منها ، رواتب قليلة تسمى (آريه لق) اى ثمن شعير لخيل صاحب الرتبة . واساس الرتب العلمية قديم العهد فى الدولة العثمانية يرجع تاريخه الى مئات من السنين ، وهذا بيانها و بيان القابها مع ما يقابلها من الرتب الملكية :

الرتب العلمية	ألقاب أصحابها في الكتابة	ما يقابلها من الملكية
قاضي عسكر روم ايلي	سماحتلو افندم حضرتلرى	وزير

قاضي عسكر أناضول	سماحتلو افندم حضرتلري	وهي بين الوزراة وبالا
قاضي استانبول	فضيلتلو « «	اولى من الصنف الاول
مولوية الحرمين الشريفين [1]	« «	اولى من الصنف الثاني
« البلاد الخمسة [2]	« بك او افندي	متمايز
« المخرج	« « « «	ثانية
رتبة كبار مدرسين	مكرمتلو « « «	ثالثة
« موصلهٔ سليمانية	« « « «	وهي بين الثالثة والرابعة

ثم هناك رتبة تسمى رؤوس استانبول ليس لصاحبها لقب تقابلها الرتبة الرابعة . واما القضاة الشرعيون غير الحائزين على رتبة فيكتب اليهم (مودّتلو بك او افندى) ويكتب للصدر الاعظم « فخامتلو دولتلو افندم حضرتلرى » ولمعزول الصدارة « دولتلو ابهتلو افندم حضرتلرى » ولشيخ الاسلام « دولتلو سماحتلو افندم حضرتلرى » ولمعزوله « دولتلو فضيلتلو افندم حضرتلرى » وللاصهار السلطانية « عطوفتلو افندم حضرتلرى » وللسردار الاكرم « دولتلو رأفتلو افندم حضرتلرى » ولآغا القصر السلطاني « دولتلو عنايتلو افندم حضرتلرى » وللبطاركة « رتبتلو افندم حضرتلرى » وللملوك الاجانب « حشمتلو » وللسفراء الاجانب « اصالتلو افندم حضرتلرى »

النياشين — اقدم نشان في الدولة العثمانية نشان الافتخار ، وليس له الآ درجة واحدة مرصعة بالحجارة الكريمة وقد انشأه السلطان محمود

(١) مكة ومدينة (٢) اشارة الى مدائن قونيه وبروسه وادرنه ودمشق الشام وبغداد ، كما يقال البلاد الثلاثة عن غلطه واسكدار واستانبول في الاستانه

الثاني ، ثم اهمل امره الى اواخر زمن السلطان عبد الحميد الخليع الذى احياه وصار ينعم بهِ على العظماء من الاجانب فقط

وهذه بقية النياشين العثمانية حسب قِدَمها مع اسماء السلاطين الذين انشأوها

النشان	اسم السلطان	عدد درجاته	ملاحظات
الافتخار	السلطان محمود الثاني	١	مرصع فقط
المجيدي	« عبد المجيد	٥	وله درجة مرصعة بالاحجار الكريمة
العثماني	« عبد العزيز	٤	« « « « «
الشفقة (خاص بالسيدات)	« عبدالحميدالثاني	٢	وكلاهما مرصع بالاحجار الكريمة
امتياز	« « « «	١	مرصع { وله نوطان الواحد ذهبي والآخر فضي
خاندان آل عثمان الاسرة المالكة (Dynastie)	« « « «	١	مرصع بالاحجار الكريمة
ارطغرل	« « « «	١	مرصع بالاحجار الكريمة

ثم هناك مداليات (انواط) مثل مدالية التخليص تمنح لكل من ينجي حياة شخص من الغرق في البحر او من حريق وما اشبه ومداليات الزراعة والافتخار انشأها جميعها السلطان عبد الحميد الثاني . هذا غير انواط حربية وقتية قديمة اسست عقب الحروب الماضية كحرب الروس واليونان وكريد واليمن وغيرها منحت لكل من حضرها من الجند والضباط والقواد .

حقي العظم

في رياض الشعر

﴿ ردّوا على الأوطان عزّاً خلا ﴾

يحيى بك علمي شاب من خيرة الفتية العثمانية المصرية جامع الى شرف المحتد علوّ الهمة ، والى الذكاء النادر براعة وافتناناً في ضروب الادب والموسيقى . رُزق في هذه الايام غلاماً سماه مصطفى . وقد فرح اصدقاء هذا الفاضل بما أتمه الله عليه من نعمة الخلف ورأى صديقه خليل افندي مطران ان يتحفه لهذه المناسبة بقصيدة فيها التهنئة وفيها العظة . فيها وصف بعض الحالات التي يكون عليها الاطفال وفيها ما هو جار من الامور العتيدة التي أفضت بالشرق الى هذا الانحطاط واشارة الى المستقبل وما يرجى منه على أيدي رجال الغد . ولقد وفق الشاعر الى كل ما قصد وأخرج للناس ضرباً جديداً من الشعر فيه تفكهة ودرس مفيد قال :

يا سبط يحيى وسليلَ العلى حيِّي الرضى طالعك المجتَلى

وسلّم اللهُ الوليدَ الذي هلَّ فما أبهى وما أجملا

كأنَّ ذوبَ العاجِ صلصاله وأنَّ معنى الحبّ ما مثّلا

ناهيك بالعينين من قوّتيْ ذهن ومن نورَيْ حجىً ارسلا

⁂

كحسنهِ الحسن اذا ما غفا وذيدت الأعينُ ان تغفلا

محركاً في نومهِ ثغرَهُ كأن في الرؤيا رضاعاً حلا

لا الحلل الغراء من همهِ ولا يبالي باهرات الحلى

جذلانُ من نشوة أحلامهِ وأين منها نشواتُ الطلى

تراه قرباً وكأنَّ الكرى يحمله فوق السُهى محملا

كطائر يظهر تحليقهُ بمظهرِ الترجيح مما علا

فان صحا فالدهر عبدٌ لهُ يرضيهِ مطواعاً والاّ فلا

وكل حيّ قمنوطٌ بأن يفهم ما يهوى وان يفعلا

سيان في اللطف وفي الظرف ما أساءَ من أمرٍ وما أجملا

له ولا للناسِ علمُ الذي … يرى ويستحسن أن يُعملا
وحولهُ الحولُ فان يفتتن … فسحره السحر ولن يُبطلا
أنلهُ ما شئت فكيف اشتهى … تحويلهُ من فورهِ حُوّلا
فليكن المفتاح ثدياً جرى … بالكوثر العذب كما امّلا
ولتكن الساعة جنّيّةً … تدير في داخلها مقولا
ولتكن الاكتافُ أفراسهُ … لكنّ شرط الانس ان تصهلا
وليكن الكرسيُّ ان حثّهُ … قطارَه ينساق مستعجلا
وكل ما شكّله فليكن … مهما عصى الطبعَ كما شكّلا

* * *

يا ولداهُ آسعدْ وعش واغتنم … من السرورِ المغنمَ الأجزلا
لكنَّ دهراً جئتَ فيهِ أبى … عليكَ ان تركب مستسهلا
أدبرَ بالشرق ولا يبتغي … الاّ بأمثالك ان يُقبلا
اليوم لا تعقلُ لكن غداً … تكون ممن سلفوا أعقلا
ما اليوم ما القابل؟ هذا مضى … بنا ولم نشعر وهذا تلا
اسمع شكاتي فهي إن لم تفد … حالاً ففيها النفع مستقبَلا
كان لنا مجدٌ نزلنا بهِ … من السماوات العُلى منزلا
وكان لا ينكر منا اذا … قلنا غداة الفخر نحن الاولى
وكان منّا كلُّ ذي مرّةٍ … ان صال فرداً كسر الجحفلا
وكان منا كلُّ ذي فطنةٍ … يكاشف الوحيَ ويهدي الملا
وكان منا كلُّ حامي حمىً … لا تطرقُ العصمُ لهُ معقلا
وكان مُلك الأرض ملكاً لنا … وحكمنا في الأمم الفيصَلا
لكنّهُ عزٌّ مضى وانقضى … بذنب مَن خانَ ومن أهملا

تراكمت أغلاطُنا آخـذاً بعضٌ ببعضٍ فانتهينا الى . . .
ولا اسمّي منتهـانا فقد يُؤثر بعضُ الشيءِ أن يُغفلا
واحربا بتنا وما شأننـا الاّ اعتذارٌ يُشمت العُذّلا
وما تبقّى غيرُ أبنائنـا تعزيةً للنفس أو مأملا
عساهم ان يُصلحوا بعدنا ما أفسد الظلاّمُ منا . . ألا . .

* * *

أي نجلَ يحيى إن يجئْ عهدكم ردّوا على الأوطان عزًّا خلا
إنا نرجّي جيلكم كلّهُ ان يَترَ المجدَ ولا يخملا
فمن دعا يومئذٍ واجدٌ فينـا عديدَ الخير مستكملا
الراجلَ الجلدَ الذي لا يهي عزم له والفارسَ الأبسلا
والعـالمَ المثمرُ تعليمـهُ أجملَ ما علّم أو فصّلا
والوالدَ البرّ بابنـائهِ يرخص في تأديبهم ما غلا
والحرّةَ الهيفـاء لا تنثني عن عوج الاغراس أو تعدِلا
والصانعَ البـارعَ في صنعهِ يتقن مفتنًّا ومسترسلا
والزارعَ الحاذقَ في شأنهِ يعافُ ان يجمدَ أو يكسلا
بمثل هذا الجمع من ولْدِهِ تشفى جراح الوطن المبتلى

* * *

أي نجلَ يحيى كنْ اذا حققوا آمالَنـا ندَبُهم المفضّـلا
بالعلم والحزم اعتضدْ واعتددْ لتغدوَ الأرشدَ والأمثـلا
إنا معـدُّوكَ ليومٍ بهِ تكونُ ذاك السيّدَ الموئِلا
في ذلك العهد وقد صرتَ في أترابك الأمكنَ والأرجلا
تذكّر الطفلَ الذي كنتَهُ وحاشِ ذاك الخُلق ان يُبدلا

اذ كنتَ في مهدكَ لا تتقي لو أنَّ طوداً راسخاً زُلزلا
ولا تراعي طاغياً قادراً ولا تحابي بَطلاً مُبطلا
ولا تني بالسؤل حتى ترى محققاً ما عزَّ ان يسألا
وتجهل الاثمَ بأنواعه كما ترى العفةُ ان تجهلا
عظائم الدنيا تحبّ الفتى في أكثر الاخلاق مستطفلا

***

تلك مُنانا يا بنينا فان تمَّت محوتم ذنبَنا المخجلا
هيّا أعيدوا المجد فينا الى ما كان من سيرتهِ أوَّلا

خليل مطران

﴿ غانية فقيرة ﴾

شكتْ فقرها فبكتْ لؤلؤًا تساقط من جفنها فانتثرْ
فقلتُ مشيرًا الى دمعِها أفقرٌ وعندكِ هذي الدُرَرْ

بشاره الخوري

﴿ قساوة التشفّي ﴾

رأيتهُ يستخرجُ الشوَّكَ من كفّين كالبلُّورِ والآسِ
فقلتُ في نفسي له شامتاً ذُقْ بعضَ ما تفعلُ بالناسِ

نجيب شاهين

﴿ حظي كشَعري ﴾

بُليتُ بحظٍ مثلَ شَعري لو حوَى دُجاه الدُّجى لم يَبدُ في أفْقهِ فجرُ
وأعجبُ مِن صبري عليهِ سلامتي فقُبّحَ حظّي والسلامةُ والصبرُ

امين

أزهار وأشواك

توارد الخواطر

توارد الخواطر أمرٌ معروفٌ بين الناس عامةً ، وكلٌّ يروي من هذا القبيل الشيء الكثير مما حدث له شخصياً او اتصل بهِ عن الغير . على ان توارد الخواطر بين الأدباء كثيراً ما جاء بصورة مدهشة غريبة ، فتقرأ الشطرة الواحدة من الشعر ، او الفقرة الواحدة من النثر ، لشاعرين او لكاتبين مختلفين ، حتى لتكاد تتصوَّر الواحد قد اقتبس قول الآخر مع انه لم يتفق له الاطلاع على شيء منهُ ؛ وتاريخ آداب العرب حافل بمثل هذه النوادر . والى القراء حادثة من هذا القبيل جرت في مصر ، واتصل خبرها بحاصد « الزهور » وهو ينقلها تفكهةً للقراء : وضع أحد الادباء كتاباً عنوانه « العرب وأطوارها » وأحبَّ ان يهديه الى العالِم العربي أحمد زكي باشا ، فسأل الأديب محمود افندي عماد ان يصوغ له كلمة الاهداء في بيتين من الشعر ، وطلب مثل هذا الطلب أيضاً من شاعر الأمير شوقي بك . فجاءه من الأول هذان البيتان :

إيهٍ « ذكيَّ » النفس تحيا نسبةٌ تنمى اليك ويستحيلُ سرارها
وكذا أردتُ لما عرضتُ (فهذهِ عربُ النجادِ وهذه أطوارها)

ونظم له الثاني البيتين الآتيين :

« أذكيُّ » يا ربَّ الفضائل والنهى وأجلَّ من يُعزَى اليـهِ فخارُها
إن شئتَ تعجبُ بالرجال (فهذه عربُ النجادِ وهذه أطوارها)

فيري القارىء كيف انفق الشاعران في الشطر الاخير حتى في اللفظ فجاء واحداً عند كليهما

ولقد ذكرتك

نهر الصفا وصفته « مي » في هذا الجزء بشعر منثور ، ووصفه من قبلها في أحد أجزاء السنة الاولى من « الزهور » الامير نسيب ارسلان بشعر منظوم قال في مطلعه

يا صاحبيَّ قفا على نهر الصفا　نهر لدينا بات أشهر من « قِفا »

وقد وقف عليه في الصيف الماضي أديب مصري لا أعرف من هو ، وأديب لبناني هو رشيد بك نخله الشاعر الذي يعرفه قرَّاء « الزهور » أنقل محضر تلك الوقفة عن جريدة « الشعب » اللبنانية فقد جاء للرشيد فيها قوله : « . . . فتناشدَنا الاديب المصري وتناشدْناهُ من قديم الشعر وحديثهِ الى ان أنشد :

ولقد ذكرتكِ والرماحُ نواهلٌ　مني وبيض الهندِ تقطرُ من دمي
فوددتُ تقبيلَ السيوف لأنها　لمعتْ كبارقِ ثغركِ المتبسمِ

فقلنا رحم الله فارس بني عبس (ان صحَّت النسبة) . أوَ تذكر ما يقول « الرشيقُ » على حد ذلك :

ولقد ذكرتكِ في السفينةِ والردى　متوقَّعٌ بتلاطمِ الأمواجِ
وعلتْ لأصحاب السفينةِ ضجةٌ　وأنا وذكركِ في ألذِّ تناجي

فقال واذكر للظفراوي قوله :

اني لأذكركم وقد بلغ الظما　مني فأشرق بالزلال الباردِ

وأقولُ ليتَ أحبتي عاينتهم قبل الممات ولو بيومٍ واحدِ

ولا أنسى ما يقول أبو الحسن الوزير :

ذكرتُ سُليمى وحرُّ الوغى بقلبيَ ساعةَ فارقتها

وشاكلَ سمرُ القنا قدَّها وقد ملنَ نحوي فعانقتها

قلتُ حسن ولكنك تبدَّلتَ الوزن وغيَّرت المطلع . فقال اذاً اسمع للحلّي :

ولقد ذكرتكِ والعجاجُ كأنهُ مطلُ الغنيّ وسوء عيش المعسرِ

فظننتُ أني في صباحٍ مسفرٍ من ضوء وجهكِ او سناء مقمرِ

قلتُ جيّد وأطرقتُ بقدر ما تقرأ وقلت :

ولقد ذكرتكِ عند آخر نظرةٍ مني لقومي والحِمامُ مهدّدي

فبكى الجميعُ وكنتُ أبسم بينهم أملاً بأنكِ حولَ نعشي في الغدِ

فاربجف المصري وتدارك دمعتين جالتا في حدقتيهِ وقال : بربك البيتين فأعدتهما له فاستظهرهما قائلاً : سأردّدهما مدى العمر

قلت : ولو اتفق لي حضور ذلك المجلس لختمت مذاكرة الاديبين ببيتٍ فردٍ ينسيهما ما تناشداه ، وهو لشاعر ظريف ذكر محبوبته في موقف لم يقفه عنترة بن عبس ولا أقرانه الشعراء ، فقد دهمه القطار الحديدي (الاكسبرس) وهو على صهوة برذون حرون فايقن بالهلاك فهاجته الذكرى ، فأنشأ يقول من فؤاد متبول :

ولقد ذكرتكِ والحمارُ معاندي فوق الشريطِ وقد أتى الوابورُ ...!

سؤالٌ من الهند

آل ابرهيم في الهند قومٌ كرام جمعوا الى شرف المحتد وعريض الجاه أدباً جمّاً وظرفاً وافراً ، ولهم على الأدب والأدباء في الشرق مآثر غير دواثر . قدّرت الأيام لوديع افندي البستاني — وهو الفتى النشيط الأديب المعروف لدى قراء العربية بكتبهِ المفيدة النافعة — ان يكون بين هؤلاء القوم الأمجاد ، فكاد ينسى بينهم في الهند أرقى مجتمعات وادي النيل لما يدور بينهم من المذاكرات الشعرية والابحاث الأدبية . . وكدتُ أنا أيضاً أنسى الموضوع الذي من أجله اكتب الآن ، وأستطرد الى ذكر ما يرويه لي صديقي عن الهند وعن مكارم من حلَّ بينهم على الرحب والسعة ، فأهمل السؤال الذي كلفني ان أنشره على صفحات المجلة . قال البستاني الصغير : « هذان بيتان من الشعر رواهما الشيخ أحمد آل ابرهيم قال :

لقي نبلنا مردَ العوارضِ فانثنوا		لأوجههم منها لحىً وشواربُ
خلقنا بأطراف القنا لظهورهم		عيوناً لها وقعُ السهام حواجبُ

فامن هذا الشعر ؟ » وانا اقول : من عرف الشاعر وكتب اليَّ عنهُ ضمنت له جائزة تجيئه عن طريق الهند . . .

في كرمة ابن هاني

سبق لي حديث قديم مع القرّاء عن كرمة ابن هاني — او منزل شوقي بك — وقد كانت هذه الكرمة في الشهر الفائت مسرحاً أقيمت فيهِ معالم الافراح والحفلات الأدبية . وكل حفلة تقام في ذلك الصرح

يقصر عنها الوصف مهما كان بليغاً . فأمير الشعر متفرّدٌ في حفلاتهِ كما هو متفرد في أشعاره . . . لا يعنيني من هذه الاحتفالات الاّ ذاك الذي أقامهُ اكبر شاعر عربي اكراماً لاكبر ممثل في الغرب ولصنوه في الشرق عنيتُ بالأول مسيو سلڤان وبالثاني تلميذه جورج أبيض ، والى جانب كلٍّ منهما جوقته ، وفي صدر الحفلة حشمت باشا ناظر المعارف الغيور ، فتصافح تحت رعايتهِ الأدبان العربي والغربي . وشكر الوزير لنابغة التمثيل في فرنسا اعتناءه بتلميذه أبيض حتى أخرجهُ نابغة الممثلين في الشرق ، كما شكر سلڤان للوزير تنشيطه لهذا الفن وأمّل ان يبلغ التمثيل العربي من النجاح ما بلغهُ التمثيل الفرنسوي منهُ . وكان بين المدعوين الياس افندي فياض الكاتب الشاعر العربي المعروف ومترجم أشهر الروايات التي يمثلها جوق أبيض ، فهمس في أذن جاره داعياً بتحقيق الآمال . . . عاصم

ثمرات المطابع

* حديث القمر [1] — نشرنا في الجزء الخامس من هذه السنة (ص ٢٤٩) مقالةً خيالية عنوانها « أيها القمر » من قلم حضرة الشاعر المشهور السيد أبي السامي مصطفى صادق الرافعي . ثمَّ أخذ حضرته هذه المقالة وتوسع فيها بما أوحى اليهِ أمير الليل من خطرات أفكار شعرية وغزَلية وادبية واجتماعية فجاءت سلسلة فصولٍ شائقة تتناول مباحث شتى في الحب والجمال والزواج والالحاد والطبيعة باسلوب خيالي وقالب

(١) يُطلب من مكتبة البيان بشارع عبد العزيز بمصر وثمنه خمسة قروش صاغ

شعري تعمدهُ حضرة الكاتب البليغ وهو يرمي من ورائهِ الى تربية ملكة التخيّل في الناشئة ، لأنّ الخيال هو اساس الانشاء وركنه الركين ، فلا يمتلك الذين يحاولون الكتابة أعنّه هذه الصناعة الاَّ اذا حبتهم الطبيعة نصيباً من الخيال ، وعملوا هم على تربية هذه القوة بالمطالعة والملاحظة والاقتداء . وقد قال حضرة المؤلف في مقدمة هذا الكتاب : « البلاغة التي حار العلماء في تعريفها ، على كثرة ما خلّطوا ، لا تعدو كلمتين : قوة التصوُّر والقوة على ضبط النسبة بين الخيال والحقيقة . وهما صفتان من قوى الخلق تقابلان الإبداع والنظام في الطبيعة ، وبهما صار أفراد الشعراء والكتَّاب يخلقون الأمم التاريخية خلقاً ، وربّ كلمةٍ من أحدهم تلدُ تاريخ جيل » الى ان يقول في ختام المقدمة المذكورة : « فالبلغاء هم أرواحُ الأديان والشرائع والعادات ، وهم ألسنةُ السماءِ والأرض . واذا شهد عصرٌ من العصور أمةً ليس فيها بليغ فذلك هو العصر الذي يكون تاريخاً صحيحاً لأضعف طبائع الأمم »

ونحن نحمد الله كثيراً على ان مصر لا تخلو من أمثال أبي السامي الفاضل ، فعصرها الحالي ليس بعصر الضعف وخمول الطبائع

* مفكرة المعارف[١] أصدرت مطبعة المعارف الشهيرة مفكرتها لسنة ١٩١٣ وهي حاوية التواريخ العربية والافرنجية والقبطية وفيها ذكر الاعياد الدينية والمدنية وتواريخ أشهر الحوادث السياسية وفي ختامها

---

(١) تطلب من مكتبة المعارف وثمنها أربعة قروش صاغ يضاف اليه قرش صاغ اجرة البريد للخارج

جدول لتحويل العملة وجدولان آخران للمقاييس والموازين وقد اعتنى بها حضرة نجيب افندي متري منشئها الفاضل اعتناءً خاصاً في هذه السنة فانتقى لها أجود أصناف الورق وأجمل شكل للغلاف فجاءت غاية في الاتقان كسائر ما تخرجه مطبعة المعارف فنوجه اليها الانظار

* La sœur du Calife. (1) — عهد الرشيد والمأمون من أجمل صفحات تاريخ العرب ، ونكبة البرامكة على يد الفضل بن الربيع من أشهر حوادث ذلك العهد ، وأعظمها وقعاً في النفوس . وقد سبك هذا الموضوع جورجي بك زيدان منشئ الهلال في قالب رواية تداولتها أيدي قراء العربية فنالت شهرةً بعيدة . وشاء حضرة الاديب ميشال افندي بيطار ، المدرّس في جامعة اللغات الشرقية في باريس ، ان يعرّف الافرنج بشيء من آداب لغتنا ، فنقل هذه الرواية الى اللغة الفرنسوية بمساعدة مسيو شارل موليه Mr. Charles Moulié ، فبرزت الغادة العربية الشرقية بحلةٍ غربية جميلة ، وصادفت بين القوم إقبالاً وإعجاباً . فنهنئ زيدان بك باشتراك الغربيين مع الشرقيين في تقدير كتاباتهِ ، ونشكر لصديقنا بيطار افندي هذه الخدمة للغتهِ ، وندعو له بالتوفيق في هذا السبيل

* المنطاد — « جريدة اسبوعية حرّة » لصاحبها ومحررها الأديب زوين افندي يوسف زوين تصدر في ريودي جانيرو ، فيها مباحث حسنة ولها نزعة وطنية محمودة

(1) Fontemoing & Cie, éditeurs, Paris

الفصل الثالث

« المشهد الأول »

رومه . أمام الكابيتول . مجلس الشيوخ مجتمع فوق في الكابيتول .
جمع غير قليل بينهم أرتيميدوروس والمنجم . هتاف

(يدخل قيصر و بروتوس وكاسيوس وكاسكا وديسيوس ومتلوس وتريبونيوس وسنّا وأنطونيوس ولبيدوس و بوبوليوس و بو بليوس)

قيصر — (مخاطباً المنجم) ها قد جاء اليوم الخامس عشر من شهر مارس
المنجم — نعم قيصر . ولكنهُ لم يذهب بعد
أرتيميدوروس — السلام قيصر . اقرأ هذه الورقة
ديسيوس — (مقدّماً له ورقة أخرى) ان تريبونيوس يرجوك ان تعيد قراءة هذا العرض اذا رأيتَ من وقتك متسعاً
أرتيميدوروس — أي قيصر . اقرأ ورقتي قبل ؛ فانها تمسُّ قيصر نفسه . اقرأها يا قيصر العظيم
قيصر — يجب تأخير ما يمسّنا عن سواه
أرتيميدوروس — اياك والتأخير ! اقرأها حالاً
قيصر — ما هذا ؟ أجُنَّ الرجل ؟
بو بليوس — تنحَّ يا هذا جانباً
كاسيوس — أفي الأسواق تتهافتون على عرض مطالبكم ؟ تعالوا الى الكابيتول . (يصعد قيصر الى المجلس يتبعهُ الآخرون)

بوبوليوس – (مخاطباً كاسيوس) أتمنى لغرضكم ان ينجح اليوم

كاسيوس – أيّ غرضٍ عنيت ؟

بوبوليوس – طب نفساً (يقرب من قيصر)

بروتوس – (مخاطباً كاسيوس) ما قال لك بوبوليوس ؟

كاسيوس – تمنى لنا نجاح غرضنا . اني اخشى افتضاح أمرنا

بروتوس – انهُ يقرب من قيصر . أنظر . ارقبهُ

كاسيوس – (مخاطباً كاسكا) كاسكا . كن سريعاً في العمل ، فاننا نخشى انكشاف الأمر . ما العمل يا بروتوس ؟ ان افتضح أمرنا قتلتُ نفسي . فواحدٌ منا ليس براجع الى أهله اليوم : إما انا ، وإما قيصر !

بروتوس – تشدد ! انظر الى بوبوليوس . انهُ لا يتكلم عنا فهو يبتسم وملامح وجه قيصر لم يعلُها تغيُّرٌ او انقلاب

كاسيوس – قام تريبونيوس بمهمتهِ خيرَ قيام . لقد اصطحب انطونيوس وخرج بهِ خارجاً . (يخرج انطونيوس وتريبونيوس)

ديسيوس – أين سمبر ؟ ليذهب في الحال يقدّم شكواه الى قيصر

سنّا – كاسكا ! انت أوّلُ من يرفع يده

قيصر – أمستعدون جميعاً ؟ من عرف منكم اعوجاجاً فلينبئ بهِ ، فان قيصر ومجلسه يقوّمانه تقويماً

سمبر – أي قيصر الرفيع العظيم كليّ الاقتدار ! ان سمبر يطرح امامك قلبه الوضيع . . . (يركع)

قيصر – منعتك هذا . قد يفعل التملّق وتعفير الجباه فعله في صغار الناس فيثيرُ عاطفة نفوسهم ، فينسخون شرائع وأوامر أصدروها ، يغيّرون فيها ويبدلون شأن الاطفال . لا تغرّنك نفسك فتحسب انّ بين جنبي قيصر دماً كدم الجهل يذيبه

الكلام اللين والانحناء الواطئ والتملّق السافل المعوّج ، فيثنيهِ عن عزمهِ . لقد صدر الأمر ونفي أخوك . فاذا أنت ركعت وداهنت وتضرعت لاجله ، انتهرتك وطردتك كالكلب من امامي . ان قيصر لا يقاصُّ بلا سبب ، وكذلك لا يعفو بلا سبب

سمبر – أما من صوتٍ اكرم من صوتي يستعذبهُ قيصر فيصغي اليهِ ويعفو عن أخي المنفي ؟

بروتوس – أي قيصر . أُقبّل يدك غير مداهن ، وأرجوك ان تهب أخا سمبر حريته

قيصر – (متعجباً) ماذا ؟ بروتوس ؟

كاسيوس – عفوك قيصر عفوك ! اني أترامى على قدميك وأتسوَّلُ منك عفواً عن سمبر

قيصر – لو كنتُ نظيركم لتأثرتُ ؛ أو لو كنتُ ممن يرجو الغيرَ لتحوَّلتُ عن عزمي مرضاةَ رجائهم . ولكني ثابتٌ في عزمي ثبوتَ نجم الشمال الذي لا يضاهيهِ في الفلك نجمٌ ثبوتاً . السماء ملأى بكواكب لا تعدُّ ولا تحصى . كلها تحترق ضياء وليس بينها سوى واحدٍ لا يحول ولا يتزعزع . كذا الدنيا مملوءةٌ رجالاً . رجالها من لحم ودم ذوو عقول ذكية ، ولا أعرف فيهم غيرَ واحدٍ راسخاً لا يُنازع ولا يتحرَّك . فلأرينكم اني ذلك الرجل . اني نفيتُ سمبرَ حازماً ، وسأبقيهِ في منفاه حازماً

سنّا – أواه قيصر . . !

قيصر – عني ! أتحاولُ ان ترفع جبال الأولمب ؟

ديسيوس – يا قيصر العظيم !

قيصر – ألا ترى بروتوس يركع على غير جدوى ؟

كاسكا – أيتهـا الأيدي تكلمي عني ! (يطعنهُ كاسكا أولاً وبعده بقيـة

المتآمرين ثم يطعنهُ بروتوس في الآخر)

قيصر — وأنتَ أيضاً يا بروتوس؟ فليسقط قيصر ! (يلتفّ بردائه ويسقط ميتاً)

سِنّا — يا للحرية ! يا للخلاص ! لقد مات الاستبداد ! اركضوا ونادوا بالأمر في الاسواق

كاسكا — ليذهب بعضكم الى المنابر ويهتف يا للعتق : يا للحرية ! يا للنجاة !

بروتوس — (مخاطباً الاعيان والشعب المختلط حابلهم بنابلهم خوفاً) لا تخافوا أيها الأعيان وأنتم أيها الشعب اطمأنوا بالا . قفوا لا تهربوا . لقد وفى الطمع دَينه

كاسكا — اصعد الى المنبر يا بروتوس

ديسيوس — وكاسيوس أيضاً

بروتوس — أين بو بليوس ؟

سِنّا — هنا وقد أضاع رشدَهُ

سمبر — خذوا حذركم . فقد يفاجئنا أحد أصدقاء قيصر . اعتصموا بالاتحاد

بروتوس — دعوا الحذَر والاعتصام جانباً. وأنتَ بو بليوس تشجَّع . اننا لا نريد بك شرًّا ، ولا نريد بأحدٍ من الرومانيين شرًّا

كاسكا — ابتعد عنا يا بو بليوس لئلاَّ يهجم علينا الناس ويلحقون بشيبتك أذًى

بروتوس — نعم اذهب . فلا يحملُ عبء هذا الأمر الاَّ فاعلوه . (يرجع تريبونيوس)

كاسيوس — أين أنطونيوس ؟

تريبونيوس — فرَّ الى بيتهِ رُعباً. الرجال والنساء والاولاد يصيحون ويصخبون كأنهُ يوم النشر

بروتوس — ايهِ أيتها الاقدار ها نحن مترقبون أمركِ فينا . كلنا يعلم ان مصيره الى الموت ولكنهُ يجهل ميعاد قدوم الساعة

كاسيوس – من يقتطعُ عشرين سنة من ثوب حياتهِ ، فانهُ يقتطعها من خوف الموت لا من الحياة نفسها

بروتوس — اذن . الموت دواءٌ نافع وما نحن الاّ أصدقاء قيصر اذ اختصرناله خوفه من الموت . فلننحنِ أيها الرومانيون ولنغسل أيدينا في جراح قيصر نخضّبها حتى الاكواع . غمسوا فيها سيوفكم ، وهيّوا بنا الى الساحة نرفع سلاحنا الأحمر فوق رؤوسنا وننادي يا للسلام و يا للعتق ويا للحرية !

كاسيوس — انحنوا واغتسلوا . ستعيد الاجيال المقبلة تمثيل دورنا هذا بألسنٍ مجهولةٍ وفي بلدان لم تخلق بعد

بروتوس— نعم وسيُدمى مراراً قيصرُ خدن الترابِ المطروح الآن عند تمثال بومباي

كاسيوس — وعلى عدد تلك المرار سيلقّبنا المستقبلُ بالقوم الذين أنالوا وطنهم الحرية

ديسيوس — أتذهبون ؟

كاسيوس — نعم . بروتوس يقودنا ، وأحسنُ قلوب رومه وأشجعها تسير على عقبهِ . (يدخل خادم)

بروتوس – سكوتاً . مَن القادم ؟ صديق لأنطونيوس

الخادم — (راكعاً) أي بروتوس . بذا أمرني أنطونيوس : أخرُّ ساجداً وأعفر وجهي وأقول « ان بروتوس نبيلٌ حكيم شجاعٌ وأمين وكذلك كان قيصر قديراً جسوراً محبًا وعظيماً . اني أحبُّ بروتوس واكرمهُ وقد خفتُ قيصر فأحببتهُ واكرمتهُ . فليسمحْ بروتوس وليؤمنْ لي سبيل قدومي اليـهِ أستفسرهُ سبب قتل قيصر ، وله عليَّ العهد اني لا أحبُّ قيصر ميتاً بأكثر ما أحبُّ بروتوس حيًّا ؛ بل أتبع بروتوس في سبيله غير المطروق بقلب مؤمن صادق» بذا نطق سيدي انطونيوس

بروتوس — لنعمَ الرومانيُّ الحكيم الشجاع سيدك . ما ظننتهُ بأقلّ مما هو عليهِ قط . ابلغهُ يحضر الينا اذا شاء ، فنقنعهُ ثمَّ ينقلبُ الى أهله آمناً

الخــادم — سآتي بهِ في الحال (يخرج الخادم)

بروتوس — سيكون منّا . أنا واثقٌ من ذلك

كاسيوس — حبذا لو تمَّ ذلك . فاني أوجس في نفسي خيفةً منهُ ، وما خانتني فراستي وتشاؤمي قط

بروتوس — ها قد جاء انطونيوس . (يدخل انطونيوس) اهلاً بماركوس انطونيوس

انطونيوس — (ينظر جثة قيصر ملقاةً ، يركع الى جانبها) أي قيصر[1] ذا السلطان ! أيطرحونك ارضاً ؟ أتنكمش فتوحاتك وانتصاراتك وغزواتك الى مثل هذا القدر الصغير ؟ وداعاً وداعاً (ينهض) اني أجهل مآربكم ايها السادة فلا أعلم من تستسمنون بعد قيصر فتدمون . ان كنتم اياي تقصدون ، فلستُ بواجدٍ زمناً للموت أليق من زمنٍ مات فيهِ قيصر . ولا آلةً على نصف شرفِ آلةٍ أغناها أنبلُ دمٍ في هذه الدنيا . ان كنتم تضمرون لي العداء فأتوسل اليكم ان تظهروه الآن وسواعدكم الحمرُ تتبخر وتدخّن . لو عشتُ ألفاً ما لقيتُ نفسي بأجدر بالموت مني الآن مطروحاً الى جانب قيصر ترديني الاسياد نخبة رجال هذا العصر

بروتوس — لا ترجُ موتك على أيدينا يا انطونيوس . انك تنظر الى هــذه الأيدي وما جنتهُ فتخالنا قساةً سفّاحين ، ولكنك لا تعلم ما انطوت عليهِ قلوبنا . انك لو استطعت النظر اليها لرأيتها ملآى بالحنان والرأفة . نعم فاننا ما فتكنا بقيصر الاَّ شفقةً على اضطهاد رومه . فالشفقة على هذه طردت من قلوبنا الشفقة عليهِ وابتلعتها كما تبتلع النارُ ناراً أقلَّ منها التهاباً . أما أنت يا انطونيوس فإنّا نرحب بك

(١) ان انطونيوس بمخاطبته جثة قيصر يتخلص من السلام على قاتليه المتآمرين

وتقبلك بيننا على الرحب والسعة . نفتح لك قلوبنا ونحميك بسواعدنا ، فترجع سيوفنا مفلولةً عنك

كاسيوس — وسيكون لك الرأي الأعلى في تدبير مهام المُلك الجديد

بروتوس — صبرَكَ حتى نسكّن روع الجمهور الذي يكاد يجنُّ خوفاً ثم أخبرك لما أقدمتُ على قتل قيصر وانا صديقه الصادق

انطونيوس — لا اشكُّ في حكمتكم . هاتوا كلٌّ منكم يده الحمراء . هاتها أنت أولاً يا بروتوس ثم أنت يا كاسيوس . وأنت ديسيوس وأنت متلوس وأنت سنا . يدك ايها الشجاع كاسكا . وأنت يا تريبونيوس هاتهـا الآخر في دورك ولكنك لست بالآخر في درجة حبي لك . ماذا أقول ايها السادة ؟ ان قدميَّ تكادان تزلّان بي عن موطئ الشرف فما أنا في أعينكم الاّ واحداً من اثنين — اما جبان او منافق . (مخاطباً قيصر) حقاً لقد أحببتك يا قيصر . فما الذي تقوله لو أطلّت علينا روحك ورأتني اصطلح مع اعدائك واضعاً يديَّ بأيديهم الدامية على مرأى من جثتك الهامدة ؟ أليس الأمر أشدَّ وقعاً عليك من قتلهم اياك ؟ ليت لي عدد جراحك عيوناً تذرف الدمع كالدم المتدفق من جسدك . لذلك موقفٌ أليق بي من تبادل عبارات الوفاق مع اعدائك . عفوك يوليوس . هنا اصطادوك ايها الوعل الجسور . هنا سقطت ، وهنا يقف صيادوك مخضبين بدمائك . ايه ايها العالم انك كنت غاباً لهذا الوعل وكان الوعل أعزَّ أبنائك . يا لك من غزالٍ تكاثرت عليهِ امراء الصيد فأردوه !

كاسيوس — انطونيوس

انطونيوس — عفوك كاسيوس . ان اعداء قيصر لا يقولون فيهِ أقلَّ مما قلتُ فما بالك باصدقائهِ . ان قولهم لتواضع بالغ حدّه

كاسيوس — لا ألومك على مدحك قيصر ، ولكني أودُّ أن أعلم أصديق أنت

فترجى ، أم عدوٌّ فيذهب كلٌّ في سبيله !

أنطونيوس — لو لم اكن صديقكم ما وضعتُ يدي بأيديكم . انما لقد أضلّتني شجوني حينما نظرتُ قيصر ملقىً . اني صديق كلٍّ منكم ، وكصديقٍ أرجوكم ان تقنعوني بأن قيصر كان خطراً

بروتوس — ان لم نقنعك بذلك كان عملنا وحشيًّا لامسوّغ له . أي انطونيوس انَّ الذي دعانا الى قتل قيصر لكافٍ لاقناعك ولو كنتَ ابناً له

أنطونيوس — هذا كلما أطلب . وأتوسل اليكم ان تسمحوا لي أنا صديقه ان أذهب بجثتهِ الى الساحة العمومية ، وأقول كلمتي في جنازتهِ

بروتوس — ليكن لك ما تريد

كاسيوس — لي كلمة أقولها لك يا بروتوس (يكلمه على جانب) انك لا تعلم ما تصنع . لا تسمح له بذلك . انك لا تعلم أي التأثير يكون لكلامه في الشعب

بروتوس — لا . لا . اني سأقف فيهم خطيباً أولاً وأُبيّن لهم اسباب قتل قيصر ، واذكر ان انطونيوس سيقيم له الاحتفال اللائق بدفنهِ باذنٍ منا . ذلك أشفع لعملنا وأضمن

كاسيوس — لا أعلم ما سيكون . ليس الأمر من رأيي

بروتوس — (لانطونيوس) هاك جثة قيصر . خذها ! انك ستتكلم بعد ان اكون قد انتهيت ، فاذا تكلمت قل انك تفعل ذلك بأمرنا . امدح قيصر ما شئت ولكن لا تذمنا ، والاّ فلا يكون لك شأن في الجنازة

انطونيوس — اني لا أطلب اكثر من هذا

بروتوس — هيئ الجثة واتبعنا . (يخرج الجميع عدا انطونيوس)

انطونيوس — (مخاطباً جثة قيصر) غفرانك ايها التراب الدامي ! غفرانك ان نظرتني اتبادل الودَّ والأدب مع هؤلاء الجزارين ! انك لبقية أشرف رجلٍ عاش

في الدنيا . ويلٌ لليد التي سفكت هذا الدم الثمين ! انّ جروحك تفتح شفاهها العقيقية كالافواه الخرساء تستنطقني نبوةً هي لعنةُ تكرسف الناس . ستمتلئ جوانب ابطاليا حروباً . وسيقوم الأخ على أخيهِ والابن على أبيهِ والمملكة شعبها بعضهم لبعض عدوًّا . سيأمن الناس الدم والدمار والخوف فتبسم الأم ان رأت أولادها تتخطفهم أيدي الحروب . ستزول الشفقة من قلوب الناس لتعودها رؤية الفظائع . وثمّ روح قيصر تزأر ثائرة يصحبها اله الشرّ الجهنمي منادياً بالويل والثبور على هذه البلاد فتنطلق كلاب الحرب تعدو وراء فرائسها تنهش بلا رحمة حتى تملأ جوانب الأرض جيفاً ليس من يدفنها . (يدخل خادم) أخادم اوكتافيوس قيصر أنت ؟

الخادم — نعم يا مولاي

انطونيوس — ان قيصر أرسل يستقدمه لرومه

الخادم — نعم . وهو قادم . وقد أمرني ان أقول لك . . (يرى جثة قيصر) ويلي ! قيصر !

انطونيوس — لقد تأثر قلبك . در جانباً وابكِ . ان الحزن مجلبةٌ للحزن وها عيناي أدمعتا اذ رأتا الحزن يجول في عينيك . . . أقادمٌ مولاك ؟

الخادم — سيبيت الليلة على بعد سبعة فراسخ من رومه

انطونيوس — عُد اليهِ مسرعاً وارو له الرواية . ليست رومة بالبلد الأمين لاكتافيوس بعد . انها نابحة ملآنة خطراً . عُدْ . عُدْ . قلْ له يلبث مكانه ولا يأتي . لا . قف قليلاً . لا تذهب قبل ان أحمل الجثة الى الساحة العمومية . سأرى هناك أثر خطابي في الناس ، وعلى أيّ محملٍ يحملون فعلةَ هؤلاء الرجال السفاحين ، ثم نذهب ونروي الأمر لاوكتافيوس . هات يدك . ساعدني . (يخرجان بجثة قيصر)

« المشهد الثاني »

يدخل بروتوس وكاسيوس ولفيف من الاهالي

الاهالي – (صارخين) هاتوا برهانكم . اقنعونا اقنعونا

بروتوس – اتبعوني ودعوني أقف فيكم خطيباً ايها الاصدقاء . كاسيوس ! اذهب الى الشارع الآخر وفرّق الجماعات . ليبقَ الذين يودُّون سماعي هنا ، أما الذين يبغون اللحاق بكاسيوس فليتبعوه . إنّا سننبئكم عن سبب قتل قيصر جهاراً

العامي الأول – أنا سألبث مكاني واسمع بروتوس

العامي الثاني – وأنا سأسمع كاسيوس ثم نقابل برهان هذا ببرهان ذاك .

(يخرج كاسيوس يتبعه بعض الاهالي ويصعد بروتوس الى المنبر)

العامي الثالث – قد اعتلى بروتوس النبيل المنبر . اسكتوا !

بروتوس -- اصبروا حتى النهاية . اسمعوا ايها الرومانيون مواطنيّ واصدقائي . اسمعوا لي دعواي . وانصتوا حتى تتمكنوا من السماع . اذا قلت فصدّقوني ، لأن لي من شرفي ما يحملكم على الثقة بي فان وثقتم بشرفي آمنتم بكلامي . زنوني بميزان حكمتكم واشحذوا عقولكم حتى تقيموا الميزان مستقيماً . . . هل في هذا الجمهور صديق لقيصر ؟ ان كان بينكم صديق حميم ، فاني أرفع صوتي وأُناديه قائلاً : ان محبتي لقيصر لم تكن بأقل من محبتك . . . سيقول هذا الصديق : اذن لمَ قتلت قيصر ؟ ها كم جوابي : ما قتلت قيصر كرهاً لقيصر ، بل قتلته حباً بروما ! أوددتم لو متم ارقاء وبقي قيصر حياً ؟ أم ان يموت هو لتعيشوا جميعكم احراراً . . ؟ انّ قيصر أحبني ، فأنا أبكيه ، انهُ كان حظاً مبخوتاً . فأنا أفرح له ؛ انهُ كان شجاعاً ، فأنا اكرمهُ ؛ نعم ، ولكنهُ كان مطماعاً فقتلته . ها دموعي جزاء محبته اياي ، ها فرحي وسروري لطالعه المسعود ، ها اكرامي واجلالي لشجاعته ، وها كم الموت جزاءً

عدلاً لطمعه ؟ هل بينكم من انحط فصار يودُّ لو كان عبداً رقيقاً ؟ ان وجدت فيكم الرجل فقد وجدت خصمي . هل بينكم من لا يودّ ان يكون رومانيًّا ؟ ان وجدت فيكم الرجل فقد وجدت خصمي . هل بينكم من سَفُل فصار لا يحب وطنه ؟ ان وجدت فيكم الرجل فقد وجدت خصمي . . . هانذا واقف انتظر الجواب . . .

الجميع — انه غير موجود . انه غير موجود يا بروتوس !

بروتوس — اذن فليس لي فيكم خصم . اني لم افعل بقيصر غيرَ ما كنتم تفعلونه انتم به . لقد دُوِّنِ خبر موته في سجل الكابيتول وذُكِرت معه مفاخره وانتصاراته غير مبتورة ولا مقتضبة ! وكذلك ذكرت معايبه التي استحقّ الموت من أجلها غير مُبالغ فيها ولا مُغالى . (يدخل انطونيوس واخرون يحملون جثة قيصر) ها جثة قيصر قدمت يبكيها انطونيوس الذى سينال بعد موت صديقه محلاً رفيعاً في الحكومة وان لم تكن له يد في قتله . اليكم ختام القول . اني كما قتلت اعزَّ اصدقائي ايثاراً لامر رومه ، كذلك قد خبأت الخنجرَ نفسه أغمده في صدري اذا دعاني اليه داعي حبّ وطني .

الجميع — ليحيي بروتوس ! ليحيي ! ليحيي !

العامي الأول — احملوه على الاكتاف الى بيته !

العامي الثاني — أقيموا له تمثالاً مع اجداده !

العامي الثالث — احلّوه محل قيصر !

العامي الرابع — انهُ قد جمع محاسن قيصر ، فلتتوّجه !

العامي الاول — سنسيرُ وراءه الى بيتِهِ هاتفين منادين

بروتوس — يا بني وطني !

العامي الثاني — سكوتاً . ان بروتوس يتكلم

العامي الاول — سكوتاً يا قوم

بروتوس – دعوني أذهب وحدي أيها المواطنون الصالحون . امكثوا أنتم واسمعوا ما يقوله لكم أنطونيوس . افعلوا هذا لأجلي . اكرموا جثة قيصر واهتفوا لأنطونيوس عند ما يمدح قيصر . لقد سمحنا له ان يقوم فيكم مؤبناً فالبثوا مواضعكم ولا تلحقوا بي . دعوني أذهب وحدي (يخرج)

العامي الاول – امكثوا يا قوم ودعونا نسمع أنطونيوس

العامي الثاني – ليصعد الى المنبر فنسمعهُ . اصعد يا أنطونيوس النبيل

أنطونيوس – اني مدين لكم من فضل بروتوس . . . (يصعد الى المنبر)

العامي الرابع – ماذا يقول عن بروتوس ؟

العامي الثالث – انهُ يحسب نفسه مديناً لنا وذلك من فضل بروتوس

العامي الرابع – لقد أحسن صنعاً . فخير له ان لا يشير بكلمة سوء الى بروتوس

العامي الاول – تالله لقد كان قيصر عاتياً !

العامي الثالث – أكيد . مباركٌ لنا خلاص رومه منهُ

العامي الثاني – اسكتوا . دعونا نسمع ما يقول أنطونيوس

أنطونيوس – أيها الرومانيون الكرماء !

الجميع – اسكتوا . دعونا نسمعهُ

أنطونيوس – أيها الرومانيون مواطنيَّ وأصدقائي . أعيروني سمعكم . لقد جئتُ لأدفنَ قيصر لا لأؤبّنهُ . ان الشرَّ يعيش بعد فاعله أما الخير فيدفن الى جانب رفاته . فليكن حال قيصر كذلك . . . ! خطب فيكم بروتوس النبيلُ فأراكم ان قيصر كان يطمح ببصره الى الملك . إنْ صحَّت التهمة فانها لكبيرة على قيصر ، وقد نال عليها جزاءهُ كبيراً . ها أنا واقف لديكم الآن أقول كلمتي في قيصر . لقد سمح لي بذلك بروتوس النبيل ورفاقه النبلاء . ان قيصر كان صديقي – صديقاً عادلاً أميناً – ولكنَّ بروتوس يظنهُ كان مطماعاً ، وليس بروتوس بالرجل المشكوك

في كلامهِ . لقد جاء قيصر من فتوحاتهِ بأسارى لا يحصى عددهم ، فاذا ما فداهم الفادون ملأ بالأموال خزائن رومه . فهل كان ذلك من قيصر طمعاً ؟ كان قيصر يذرف الدمع ان رأى فقيراً باكياً . واللهِ ان للطمع غير هذه الاخلاق ! ولكنَّ بروتوس يراه مطماعاً . وليس بروتوس بالرجل المشكوك في كلامهِ . أما رأيتم يوم لوبار كال وقد قدَّمتُ له التاج ثلاثاً فردَّني خائباً ثلاثاً ؟ أهذا ما يسمونهُ طمعاً ؟ . ولكن بروتوس يقول ان قيصر كان مطماعاً ، وليس بروتوس بالرجل المشكوك في كلامهِ . ما أنا مفنِّدًا بروتوس ولكنني أسرد الرواية كما أعلمها . انكم قد أحببتموه كلكم فيما مضى وحاشا لحبكم ان يكون بلا سبب . فماذا الذي يقصيكم عنهُ الآن فلا تندبونهُ . ايهِ أيها الادراك . أين أنتَ . أتركتَ رؤوس بني آدم وفررتَ الى الوحوش الضارية ؟ عونك . عونك . ان قلبي فارقني ولحقَ بقيصر في هذا التابوت . حنانيك قلبي عُدْ اليَّ

العامي الأول — أرى معظمَ كلامه معقولاً

العامي الثاني — لو تدبرتَ الأمر لوجدتَ ان قيصر قد ظُلِم

العامي الثالث — اذن فسيظلم غيره بعده

العامي الرابع — هل تنبهتَ الى ما قال عن التاج ؟ انهُ لم يقبل التاج . اذن لم يكن طامحاً الى الملك.

العامي الأول — ان صحَّ القول فسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون

العامي الثاني — مسكين أنطونيوس ! لقد احمرَّت عيناه كالنار من البكاء

العامي الثالث — انهُ لأنبلُ رجلٍ قام في رومه

العامي الرابع — اسمعوا . لقد عاد يتكلم

أنطونيوس — بالأمس كنّا وكلمةُ قيصرَ تقفُ في وجه العالم كله لا تردّ واليوم نحن وها هو ملقىً الى الحضيض أوضعَ من ان يُرمق بنظرةِ اكرام . . . أيها السادة !

لو أردتُ ان أحرّك عاطفةَ قلوبكم وأفكاركم . أو ان أثيرَ غضبكم لخطأتُ بروتوس ولخطأتُ كاسيوس ولخطأتُ غيرهما كثيرين . ولكنني لا أفعل ذلك أبداً انهم نبلاء أشراف . كيف أجسر ان أخطّئهم . اني اوثر ان أخطّئ الميت وان أخطّئ نفسي وان أخطئكم جميعاً على ان أنسبَ الخطأ لرجالٍ كرام مثل هؤلاء . أرأيتم هذه الوثيقة بيدي . انها مختومة بخاتم قيصر . وجدتها في خزانتهِ . هي وصيتهُ لو سمع أهلُ رومه مضمونها . عفوكم فلستُ بقارئها لكم . لو سمع أهلُ رومه مضمونها لجأوا الى قيصر يلثمون جراحهُ ، وخضبوا مناديلهم بدمه الكريم ، لا بل لتسوَّلوا شعرةً من شعرهِ يحفظونها أثراً خالداً يتوارثها ابناؤهم من بعدهم

العامي الرابع — اقرأ الوصية . اسمعنا الوصية يا أنطونيوس

الجميع معاً — الوصية ! الوصية ! اسمعنا وصية قيصر !

أنطونيوس — صبراً أيها الاصدقاء الكرام . فلستُ بقارئها . لا يليق ان تعلموا كم كان قيصر يحبكم . ما أنتم من خشب . ما أنتم من حجارة . ان أنتم الاّ رجال — رجال من لحم ودم اذا ما سمعتم وصيتهُ ثُرتُم وقامت قيامتكم وطار صوابكم ! لا لا . خير لكم ان لا تعرفوا مضمونه . خير لكم ان لا تعلموا انه أوصى لكم بما ملكتْ يداه ! اهٍ ما أوخم العاقبة لو علمتم !

العامي الرابع — اقرأ الوصية . لا بد من سماعها يا انطونيوس . محتمٌ عليك ان تقرأ وصية قيصر

انطونيوس — أتصبرون على ذلك ؟ أتستطيعون ان تمكثوا بعد ؟ لقد جاوزت الحدَّ اذ ذكرتها لكم . انى أخشى إغضاب هؤلاء النبلاء الذين أغمدوا خناجرهم في صدر قيصر . انى أخشى ذلك كثيراً

العامي الرابع — قل خونة . لا تقل نبلاء !

الجميع — الوصية ! الوصية !

العامي الثاني — تباً لهم من قتلة . سفكة ! الوصية . اقرأ الوصية !

انطونيوس — لقد أحرجتموني فجبرتموني على قراءتها . دونكم جثة قيصر . التفّوا حواليها ودعوني أنزل اليكم فأريكم الرجل الذي كتب الوصية . هل تسمحون لي بالنزول ؟

الجميع — انزل . انزل

العامى الثاني — انزل

العامى الثالث — سنفسح لك مجالاً بيننا

العامى الرابع — التفوا على شكل حلقة

العامى الأول — ابعدوا عن الجثة

العامى الثاني — افسحوا مجالاً لهذا النبيل انطونيوس

انطونيوس — لا تقربوا مني كثيراً . افسحوا لي قليلاً

كثيرون — لا تضيّقوا عليهِ . افسحوا المجال . ارجعوا

أنطونيوس — ان كان في مآقيكم دمع فاذرفوه الآن (يشير الى رداء قيصر) كلكم يذكر هذا الرداء . هو رداء قيصر ارتداه ليلةَ صيفٍ وجلس في قباب مضروب على أثر عودته من نصرٍ مبين على أعدائكم [١] . انظروا . هنا مرَّ خنجر كاسيوس . تبيّنوا طعنة كاسكا الحاقد . انها مزّقت الرداء تمزيقاً . وهنا طعن بروتوس المحبوب طعنتهُ . بروتوس حبيب قيصر وملاكه الحارس . حدّقوا في طعنتهِ انظروا كيف نزع النصل المشومَ ففتح باباً خرج منـهُ الدم يجري ليتحقق القارع القاسي . ايهٍ أيتها الآلهة ! قولي كم كان قيصر يحب هذا الطاعن ! انها لأشدُّ طعنة أصابت قيصر . فانهُ عندما رأى بروتوس يطعنهُ ، التفَّ بردائه وخبأ وجهه وسقط الى جانب تمثال بومباي قتيلَ الغدر ونكران الجميل اكثر منهُ قتيلَ السيوف والخناجر . بالسقوط

(١) هي موقعة نرفي سنة ٥٧ قبل المسيح وتعد من اشهر مواقع يوليوس قصير

قيصر من سقوط : أي مواطنيَّ الاعزاء انّا سقطنا كلنا بسقوطه ، أنا وأنتم وكل الرومانيين. أما الغدر والخيانة فانتصرتا وعاشتا على ظهورنا . أراكم تذرفون الدمع كقطر الندى . لقد مسّت الرحمة قلوبكم . كلٌّ هذا! وقد شاهدتم الرداء ممزّقاً فما تصنعون لو نظرتم الى الجسد مهشماً (يرفع الرداء عن جسد قيصر) هاكم قيصر . ها جسده شوّهتهُ أيدي القوم الخائنين

العامي الاول — يا لهول المنظر !

العامي الثاني — يا لقيصر النبيل !

العامي الثالث — يا لشؤم هذا اليوم !

العامي الرابع — آه أيها الخونة السافلون

العامي الاول — انهُ لمنظرٌ دمويٌّ فظيع

العامي الثاني — سننتقم له

الجميع — الانتقام ! الانتقام . هلموا ننتقم . اركضوا . احرقوا . اقتلوا . اذبحوا . لا تدعوا خائناً يفلت

انطونيوس — قفوا . قفوا ايها المواطنون

العامي الاول — سكوتاً . اسمعوا لانطونيوس النبيل

العامي الثاني — تسمعهُ . نتبعهُ . نموت معهُ

انطونيوس — حلمكم ايها الاصدقاء الصالحون . حلمكم اخواني الاعزاء . ما قصدتُ أن أحرّك طوفان ثورتكم . انّ الذين أقدموا على هذه الفعلة لأقوامٌ نبلاء حكماء قد يكون لهم من أنفسهم عذرٌ لا أعلمهُ يبرّرهم في أعينكم . لم آتِ لأحوّل قلوبكم عنهم فلست بالخطيب المفوّه مثل بروتوس . ما أنا الاّ ذاك الرجل الساذج الذي يحبّ صديقه . والذين سمحوا لي بالكلام يعلمون ذلك حقَّ العلم . ليس لي فهم ولم أتعلم الحكمة ولم أُعطَ موهبة الخطابة لأثيرَ فيكم دمكم . اني اعرفُ بما اعرف